توجيه الأداء لدلالات الخطاب القرآني

Directing the performance of the indications of the Quranic discourse

هارون مجيد*

كلية الأداب و الفنون جامعة الشلف (الجزائر) majd1221@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2021-04-08 تاريخ القبول: 2021-04-23 تاريخ النشر: 2021/05/26

ملخّص البحث:

يتّفق جلّ اللغويين على العديد من الجماليّات التي ترقى بكلام الله عز وجل وتسمو به نحو الإفهام مع مراعاة طرق الأداء باعتباره فنّ النّطق السليم وصولا إلى ثلاث معان رئيسة وهي: الدلالات التصويرية، والإثارة الوجدانية، والروعة الجمالية، ففنّ الأداء هو المسيطر على الدراسات الحديثة من مثل علم الأصوات وأساليب التواصل وفن الإلقاء...، إذ أنّه هناك مجموعة من العوامل الموجّهة لعملية الأداء منها ما هو بيئي ومنها ما هو موضوعي اِنطلاقا من ثلاث محاور تؤسّس للعمليّة الأدائيّة كاملة غير منقوصة ألا وهي: المنقول(القرآن الكريم وقراءاته)، والنّاقل(المُلقي أو المقرئ)، وصولا إلى(المُتلقّي أو المُستمع)، كل هذا وفق مهام منوطة بالأداء قصد بلوغ المقصد القرآني كالانفعالية التعبيريّة، والتركيبية، والدّلالية وهو ما نصبو إليه في بحثنا.

الكلمات المفتاحية :

الأداء ، التوجيه ، الدلالة ، الخطاب ، القرآن ، المهمة ، الملقي ، المتلقي ، الرسالة ، الانفعال ، التركيب ، الدلالة

Research Summary:

Most linguists agree on many aesthetics that rise to the word of God Almighty and transcend it towards understanding, taking into account the methods of performance as the art of sound articulation, leading to three main meanings: pictorial connotations, emotional excitement, and aesthetic splendor, so the art of performance dominates modern studies such as Phonology, methods of communication and the art of recitation ..., As there is a set of factors guiding the performance process, some of which are environmental, and some are objective based on three axes that establish the entire performance process, which are uncompromised: the transmitter (the Noble Qur'an and its readings), the transmitter (reciter or reciter), down to (the recipient or the listener). All this is according to tasks entrusted with performance in order to achieve the Qur'anic intent such as expressive, synthetic, and semantic emotionality, which is what we seek in our research.

توطئة:

للّغة العربية سحرها الفتّان لما تحمله من أسرار جماليّة إيقاعيّة جعلتها تنفرد بهذا الجمال دونًا عن باقي اللّغات،"فاللّغة ليست إلاّ حاملًا للفكر، فهي وسيلة والفكر غايتها..."[1]، وعلى هذا الاعتبار تقوم العلاقة بين اللّغة والفكر،كون الأولى أداة تخضع لمعايير الثانية؛ وقد تخرج عنها أو تنزاح على طول مسافة من التوتّر،"فإذا

* المؤلف المرسل

كانت اللّغة هي وسيلة التّفكير وأداته؛ فإنّ تطهير هذه الأداة واستكمالها من أوائل ما يجب أنْ نُعنى به"[2]. إذ الأساس هو العلاقة بين ما يُؤدّى لفظيا ومعناه "...فالألفاظ وسائط بين النّاطق والسّامع، فكلّما اِختلفت مراتبها على عادة أهلها، كان وشيها أروع وأجهر. والمعاني جواهر النّفس فكلّما اِئتلفت على شهادة العقل، كانت صورتها أنصع و أبهر"[3]، فقد تُنْطَقْ اللّفظة ومن خلال الصّوت النّاجم عنها نفهم معناها، وذلك حسب الغرض المنشود والمبتغى المراد الوصول إليه، وحسب السّياق الّذي ترد فيه يفهم المعنى، وهذا كلّه تفسّره لنا مفاتن الصّوت من خلال الأداء وفق قوانين صوتية منها: التّنغيم أو النّبر أو الوقف...إلخ. فعلى سبيل المثال لفظة–صهِ– حتى ولوْ لمْ يُفهمْ معناها لدى من ليس له دراية باللّغة إلاّ أنّه من خلال نبرة الصّوت يصل إليه المقصود،كما تعدّ الأصوات عنصرا أساسيّا من عناصر الإيقاع عموماً، "فلهذه الأصوات وظيفة في إطارها الاجتماعي...والأصوات لها نظامها الفرعي الخاصّ، أعني النّظام الصّوتي"[4]، وعبر هذا الأداء الصّوتي يصبح الأثر آسرا ساحراً، ونظراً عطراً خصوصاً إذا ما أُنتقيت الألفاظ بكلّ عناية .

لكن علينا أنْ لا نغفل دور التلفّظ؛ إذ الفاعل فيه وهو اللّسان لأنّه "شيء وسيط بين الصّوت والمعنى، ويكمن دوره في التّوحيد بينهما عن طريق تفكيكهما في الوقت نفسه"[5]، وهذا لدليل آخر على تعالق الصّوت بالمعنى"فهناك صلة بين الصّوت والمعنى؛ وذلك يؤكّد البعد النّغمي في النّص القرآني ويعطي للقيم الصّوتية دورا تأسيسيّا في البناء"[6]. وفهم المعنى اِنطلاقا من الصّوت واردٌ ومعمولٌ به في كثير من الميادين وحتى في الحياة الاجتماعيّة.

عرض مفهوماتي للأداء:

إنّ الأداء **لغة** هو من مادّة:" أَدَاءٌ :اسم ، مصدر أدَّى ، قَامَ بأداء وَاجِبِهِ : بِإِنْجَازِهِ ، بِإِكْمَالِهِ ، كان أَدَاؤُهُ للنَّصِّ سَلِيماً : أسْلُوبُ تَعْبِيرِهِ وَطَرِيقَتُهُ ، تلاوة القرآن : كما يتلوه القُرَّاء من إعطاء الأصوات حقَّها من الوضوح والضغط والنبر لابدَّ لقارئ القرآن أن يكون حسن الأداء"[7] ،أمّا **اِصطلاحا**: "فهو ضرب من أساليب التعبير"[8]، كما أنّ أصله عند العرب هو الإيصال، والمدقّق في وجوه أداء القرآن الكريم يلفيها تصدر من أصل واضح لا غيره مردّه أنّ "الأداء في مصطلح القرّاء هو النّقل"[9]، بل وهناك العديد من العلماء الّذين أكّدوا القضية المتواترة للنّقل إذ نلفي أنّ "لفظة الأداء كثيرة الاستعمال بين القرّاء، ويعنون بها تأدية القرّاء القراءة إلينا بالنّقل عمن قبلهم"[10]، وهو البرهان القاطع على عملية التّواتر. ترتكز عملية النّقل هذه على مثلّث يرسم حدود العملية الأدائية ألا وهو "المنقول والنّاقل والمنقول إليه"[11]، ولنا أن نوضح هذه العلاقة في الترسيمة الآتية:

المنقول(القرآن الكريم/قراءاته)

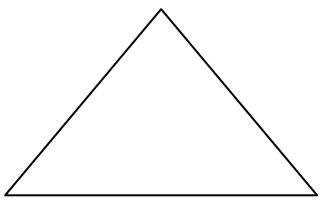

النّاقل (الملقي/المقرئ) المنقول إليه(المتلقّي/المستمع)

1*المنقول:"هو القرآن الكريم وما يتصل به من وجوه اختلاف القراءات وتجويد التلاوة"[12] ،فالمنقول من القرآن يصدق على ما جاء متواترا ، وعلى ما جاء صحيحا مستفيضا متلقى بالقبول.

2*النّــاقل:أهل الأداء هم أئمة نقل القرآن وقراءاته فـ"أهل الأداء القرّاء"[13]،وهم أهل العلم والدراية والحفظ والنقل لكنهم يتفاوتون في الدرجات وفق التأسيس والتقعيد ومنه "كان أهل البصيرة في الدين الجامعين بين العلم والعمل والتخلق، يراعون في تلاوة المعاني ما يؤثّر في القلب"[14] فالاهتمام بهذا الجانب أمر في غاية الأهمية قصد بلوغ المقاصد.

3*المنقول إليه:وهو المستمع والمؤدَّى إليه أين يصل المقصد إلى أذنه مستقرّا في قلبه مصدّقا له بعمله "وهو لا يعمل عمله على الوجه الأكمل إلاّ إذا وصل اللّفظ إلى السّمع في أحسن صورة من النّطق"، وبهذا نكون قد تطرقنا إلى وشج العلائق بين مقومات العملية الأدائيّة محاولين الوقوف عند شروطها، لكنّنا أردنا أن ننوّه إلى أمر في غاية الأهمية ألا وهو الظروف المتحكّمة في العملية الأدائية.

العوامل المتحكِّمة في الأداء:

هذا النّوع من الظّواهر مرتبط بالأداء اللّغوي اِرتباطًا وثيقاً "وأقصد به هنا طريقة نطق الكلمة حسب النّظام اللّغوي المتعارف عليه عند أهل اللّغة أنفسهم، وهذا لا يكون إلّا بالتعلّم المكتسب من خلال ما يسمعه المرء"[15]، فالأداء مرتبط **بالبيئة**، وكذلك **بنوع الكلام المؤدّى**.**أ– ارتباطه بالبيئة**: فالبيئة تفرض على الإنسان نمطًا معيّنًا من الكلام، فالعربيّ ليس كالغربيّ مثلا، فكلّ واحد منهم يؤدّي لغته سليقة كما اِعتاد وأَلِفَ قومه وعشيرته عليها، وهنا يختلف الأداء أثناء نطقه ضمن مستوياته المختلفة.**ب– ارتباطه بنوع الكلام المؤدّى**: يجدر بنا في هذا الجانب أَنْ نخصّص، فمن يتكلّم باللّغة العاميّة ليس كمن يتكلّم بالفصحى ومن يقرأ قصّة ليس كمن يتلو القرآن، فإذا"كانت الدّلالة في الكتابة تتحدّد بعلامات التّرقيم وتتحدّد في الكلام عن طريق التّنغيم، فإنّها في القرآن الكريم لا تتحدّد إلاّ بواسطة التّجويد. وهو العلم الّذي نَصُونُ به اللّسان عن الخطأ في لفظ القرآن"[16]، فبالتّجويد تتّضح معالِمُ الأداء، وهنا الكلام المؤدّى هو كلام الخالق، وأداؤه (الكلام) ينبغي أَنْ يكون عن دربة وإتقان وعلم باللّغة العربيّة، وطريقة النّطق الصّحيح لها .

غايات الأداء وأغراضه:

للأداء الحسن غايات كثيرة فـ"مهما تعدّدت الغايات في أيّ أداء فإنّ مدارها هو الإفهام"[17]، ودرجة الإفهام هنا تتوقف على مدى جودة الأداء وفق "ثلاث معان رئيسة: وهي الدلالات التصويرية، والإثارة الوجدانية، والروعة الجمالية"[18]، فتلاوة القرآن توجب المراوحة بين الارتفاع والانخفاض؛ فإذا توائم الصوت بالمراد فُهِم المعنى واتّضح، والعكس بالعكس لا مفرّ. ومن ذلك "التّأثير في النّفس البشريّة عن طريق حُسْنُ الأداء ورونقه، التّمثيل الواعي للمعاني، تمكين السّامع من تصوّر وتخيّل المدلول واِستيعابه، الأُنس بفهم الآية السّابقة، التّسويق لاستقبال الآية اللاّحقة"[19]، فتفاعل (النّاقل مع المنقول) يَزيد ويُعين السّامع على الفهم، ومن ذلك الخشوع لله عزّ وجلّ،

ولَمَّا كان القرآن متميّزا عن سائر الكلام العربي بجمال رونقه وإنسجامه، وتعالُق ألفاظه ومعانيه، فهو يعلو ولَا يُعْلَى عليه، نجده لا يقبل تحريف لفظ أو إنقطاع جملة غير تامّة المعنى دون ضبط الفائدة ، وإلاّ كان وقوعًا في الخطأ والمحضور. فنجد العديد من العلماء الّذين إهتمّوا بهذا النّوع من التّناسق "فرأيت لكلّ لفظة روحا في تركيبها من الكلام فإذا أفردتها وجدتها قريبة ممّا كانت؛ لأنّها هي نفسها الّتي كانت من روح التركيب"[20]. ومعنى هذا أنّ الكلام في القرآن الكريم مُعجز فهو قطعة واحدة متآلفة ملتحمة ليس بين جزيْئَاتها تضاربًا وتناقضًا ولا حتى تجاوزًا.

دور الأداء في توجيه الخطاب القرآني :

من بين الظّواهر الصّوتية الّتي وُجِدَتْ بصمتها بين ثنايا آي القرآن الكريم **الأداء** "ولقد وردت عدّة إشارات دالّة على وظائفه في الدّراسات القرآنيّة، وهي وإنْ لمْ تنظر لذلك بصورة واضحة وصريحة فإنّ تراكم تلك الإشارات يدلّ على تمثّل أصحابها وإستحضارهم للظّاهرة"[21]،خاصّة أثناء ترتيلهم أو تجويدهم للقرآن، أو حتى سماعهم له، فالأداء لا تحدّد ملامحه الحقيقيّة إلّا أثناء السّماع أو القراءة. وهنا تتجلّى ثلاث مهمات أساسيّة تعمل عملاً تعاونيّا حثيثًا داخل جسد النصّ القرآني ممثّلة في:(المهمة الانفعاليّة التّعبيرية، المهمة التّركيبيّة و المهمة الدّلالية).

1- المهمة الانفعاليّة التّعبيرية:

إنّ قارئ القرآن ومرتّله يتفاعل معه ومع معانيه،فيترجم تلك الانفعالات إلى نغماتٍ مختلفة تصدر أثناء تَفَنُّنِهِ في ترجمة الحروف إلى أصوات ذات دلالة، فإنْ كان في مقام الحديث عن الثّواب إستبشر، وإنْ كان في مقام الحديث عن الخلق تدبّر، وإنْ كان في مقام الحديث عن العقاب خاف وتقهقر. "وبذلك فإنّه يوظّف منحنيات أو نطاقات تنغيميّة مختلفة تؤدّي الوظيفة الانفعاليّة التّعبيرية"[22]. والمقصود ههنا "التّعبير عن الأحاسيس والإنفعالات الّتي تختلج داخل نفس المتكلّم"[23]، فكلّ من يقرأ هذا الكتاب المعجز كان لزاما عليه التّفاعل معه ومع ما يحتويه. وفي هذا الصدد يؤكّد **الزّركشي**:"فحقّ على كلّ مسلم أنْ يرتّله، وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه والإفصاح لجميعه[...] فمن أراد أنْ يقرأ القرآن بكمال التّرتيل فليقرأه على منازله، فإنْ كان يقرأ تهديدًا، لفظ به لفظ المتهدّد، وإنْ كان يقرأ لفظ تعظيم، لفظ به على التّعظيم [...] فإذَا مَرَّ به آية رحمةٍ وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها واستبشر إلى ذلك وسأل الله تعالى أَنْ يُعِيذه من النّار. وإنْ هو مرّ بآية فيها نداء (وللّذين آمنوا) فقال:(ياأيّها الّذين آمنوا) وقف عندها، وقد كان بعضهم يقول:لبّيك ربّي وسعديك ويتأمّل بعدها ممّا أمر به ونهي عنه، فيعتقد بقول ذلك[...] فإنّه إذَا فعل هذا فقد نال كمال التّرتيل"[24]. **فالزّركشي** يركّز كثيرا على قراءة القرآن على منازله، وفي ذلك حكمة إذْ أنّ لكلّ منزلة بصمتها الأدائيّة الخاصّة بها والنّمط الّذي يحدّدها، فنمط التّهديد والوعيد ليس كنمط التّرغيب والتّرهيب والتّخويف. وسياق الحديث عن الجنّة ليس كالحديث عن النّار فالقارئ عليه أَنْ يتبحّر في هذه التّلوينات الأدائيّة التّعبيرية والإنفعاليّة لِيَبِينَ عمّا يختلج في سريرته من تفاعل مع آي القرآن الكريم. فبقراءتنا مثلا **قوله تعالى**:﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الماعون،الآيتين (4،5) علينا أَنْ نُظْهِرَ المستوى الأدائي بين ثناياها حتى إذا سمعها السّاهون عن صلاتهم خافوا وارتعبوا، وفي هذه اللّحظات تتحرّك قلوب المؤمنين الّذين يخشون عذاب ربّهم،أمّا إذا قرأنا **قوله تعالى**:﴿ أُولَٰئِكَ

لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾الكهف، الآية(31).علينا أَنْ نُبْرِزَ ونُبيّن الجزاء العظيم، ونصوّر للمستمع من خلال اِنفعاله المعنى المقصود، وهو وصف الجنّة جَاعِلاً المنقول إليه يسبح في تلك الأنهار من خلال التّلوينات المتنوّعة فتكتمل الصّورة لديه ويتمنّى لو يكون من هؤلاء، وفي هذا المقام يقول **الإمام الغزالي** عن قارئ القرآن أَنَّهُ عليه "أنْ يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اِختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيره"[25]، فهو يعيش داخل النصّ القرآنيّ بمختلف تعبيراته ومعانيه، ويشرك المنقول إليه في تلك المعاني الّتي يتأثّر بها ويشحنه بها كأنّه مغناطيس يجذب إليه كلّ من يستمعه.

2- المهمة التّركيبيّة:

إنّ هذه الوظيفة لا تقلّ أهميّة عن سابقتها كَوْنُ آيات القرآن مركّبة تركيبًا تعجيزيًّا فلو قدّمت أو أخّرت أو غيّرت، أو حتى نَصَبْتَ في غير محلّ للنّصب ورَفَعْتَ في غير محلّ للرّفع وقرأت الآيات، لكان الصّوت المنبعث نشازًا لا يستسيغه سمعٌ ولا تطرب له أذنٌ، ولا يقبله عقلٌ. يُقْصَدُ بهذه الوظيفة "التّفريق بين أنواع الجمل وتبيان وظائفها النّحويّة من خلال التّمييز بين أسلوب تركيبيّ وآخر، فلكلّ جملة قالب تنغيميّ خاصّ بها تتفرّد به ولا تقاسم فيه جملة أو جملا أخرى"[26].وهذا أصدق دليل على الإعجاز المتجذّر في النصّ القرآني، فبتنوع وتعدّد الجُمل المكسوّة بطابع أدائيّ تتنوّع وتتعدّد الأساليب ما بين أمرٍ وتأكيدٍ واستفهامٍ، ونهيٍ ونفيٍ، وقَسَمٍ ونداءٍ وخبرٍ وإثباتٍ.إذْ الأداء "يقوم بوظيفة تمييزيّة واضحة بين الجمل الإنشائيّة الِاستفهاميّة والجمل الخبريّة،وذلك عن طريق مدّ الصّوت"[27].فإذا نطق القارئ بآية دالّة على الاستفهام وجب عليه تحقيقه، وإذا نطق بآية دالّة على الخبر وَجَبَ عليه الإخبار من خلال مدّ الصوت، ولنا أن نسوق بعض الأمثلة من الذّكر الحكيم إِذْ يقوم فيها الأداء بوظيفته التّركيبيّة، وذلك في **قوله تعالى**:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ يوسف الآية (29)،وهنا يبرز الأداء من خلال تلاوة خاصّة "حيث يُتلى بالقالب التّنغيمي للنّداء، وهذا القالب قائم رغم حذف حرف النّداء"[28]. وفي **قوله تعالى**:﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف الآية (05)، فهنا يوضّح **الرّازي** المعنى من خلال الأداء التّركيبي"وفيه معنى التعجّب كأنّه قيل ما أكبرها كلمة"[29]، ففي هذا التّركيب نوع من التعجّب. أمّا في **قوله تعالى**: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التحريم الآية(01). هنا يكمن سؤال خفيّ بين ثنايا الآية "وبالرّغم من حذف حرف الِاستفهام إلاّ أنّ التّنغيم ينقل دلالة الاستفهام، إذ الأصل **أَتَبْتَغِي**"[30]، وهذا إعجاز في القرآن الكريم.

3- المهمة الدّلالية:

بمجرّد الخوض في مجال الدّلالة نلمس تشعّبا في المدلولات (المعاني) الجزئيّة من الحروف والكلمات، أو الكليّة من جمل و عبارات. والسّبيل الموصل للتّمييز بين تلك المعاني رغم اِختلافها الوظيفة الدّلالية "ويقصد بها التّفريق

بين دلالات السّلسلة الكلاميّة الواحدة، حيث إنَّ الأداء يفوق الجملة الإستفهاميّة الواحدة إلى معان تتعدّد بتعدّد أنماطها التّنغيمية"[31]، فالكلمة الواحدة قد تتفرّع منها معان عديدة، وذلك حسب السيّاق أو المقام الذي ترد فيه. الأمر نفسه ينطبق أيضا على الجمل والعبارات، والأداء هو الشّفرة الّتي توصل إلى معرفة المعنى الدّلالي في كلّ قراءة، وخروج العبارة عن معناها الأصليّ الّذي خصّص لها أرجحه **الفيّومي** إلى أنّ "المعنى الّذي في أصله يُفاد يُؤدَّى بواسطة الجملة الاستفهاميّة، يؤدّونه أحيانًا بالقالب التّركيبي للجملة الخبريّة، وكذلك المعنى الّذي يؤدّى بواسطة الجملة الخبريّة يُؤدّونه أحيانا بالجملة الاستفهاميّة، ولا ضير في ذلك ما دام التّنغيم والأداء قرينة دالّة ومفصحة عن الغرض. وشأنه في ذلك شأن العلامات الإعرابيّة فكما أنّ الإعراب يُتيح للكلمة حريّة الحركة داخل الجملة، فتتقدّم تارة وتتأخّر أخرى دون إخلالٍ بالمعنى،كذلك قرينة الأداء تتيح للمتكلّم الخروج عن الأسلوب المعتاد في إبانة غرضه وتوضيح مقصوده إلى الأسلوب المقابل له أو الموضوع لإفادة دلالة أخرى"[32]،وقد ركّز **الفيّومي** في قوله على قرينة الأداء؛ ذلك لأنّها توصل إلى الدّلالة المبتغاة. ولنا أن نُوردُ بعض النّماذج الّتي تُظهر وتُبيّن دور الأداء في خروج الإستفهام إلى نطاق آخر وهو نطاق تعدّد الدّلالات المنافيّة لمعناه الأصلي.

*وذلك في **قوله تعالى**:﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ البقرة الآية (06)، وهنا الظّاهر لأوّل وهلة هو الإستفهام، ولكن في الحقيقة هو يحمل دلالة أخرى"فلفظه لفظ الإستفهام معناه الخبر،ومثل ذلك قوله:(ما أبالي أأشهدت أم غبت*** وما أدري أأقبلت أم أدبرت) وإنّما جرى عليه لفظ الإستفهام"[33].

*وممّا جاء على صيغة الاستفهام ودلالته التعجّب **قوله تعالى**:﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ سورة الرعد، الآية (32). وفي هذا المقام يشير **أبو حيان**"فكيف كان عقاب؟! إستفهام معناه التعجّب بما حلّ، وفي ضمنه وعيد معاصري الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من الكفّار"[34].

*وهناك إستفهام دالّ عن التّوبيخ في **قوله تعالى**:﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة، الآية (44) وممّن أثبتوا هذه الدّلالة **العكبري** في رؤيته بأنّه"إستفهام في معنى التّوبيخ"[35].

*كما ورد في آي القرآن الكريم صيغة الإستفهام، ودلّت على التّعظيم في **قوله تعالى**:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ سورة الأنعام، الآية (06)،وقال **العكبري** في هذا المقام:"قوله تعالى:(كم أهلكنا) **كَمْ** استفهام بمعنى التّعظيم"[36] .

*وهناك إستفهام دالّ على التهكّم والاستهزاء نحو **قوله تعالى**:﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾سورة الصافات،الآيتين (91، 92)، وهذا وارد في قصّة إبراهيم عليه السّلام، إذ يسخر من قومه عن طريق سخريّته بآلهتم بتنغيمٍ خاصّ ممزوج بالتهكّم والاستهزاء.

*وممّا ورد في سيّاق اِستفهاميّ **قوله عزّ وجل:**﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ سورة الإنسان، الآية (01). فيقول **ابن جنّي** بأنّ (هَلْ) جاءت: "بمعنى **قَدْ**، أيْ قد أتى عليه ذلك"[37] والدّلالة هنا تتحقّق عن طريق الأداء فهو المحقّق لهذه المفارقة العجيبة. ومن خلال ما أوردناه من آيات من الذّكر الحكيم والّتي تتغيّر عبرها دلالة الاستفهام الحقيقيّة؛ لأنّه يخرج من إطار السّؤال الّذي ينتظر الإجابة إلى السّؤال التّعجيزيّ؛ لأنّ السّائل هو ربّ العالمين العَالِمُ بكلّ شيء وهذا ما يوضّحه **ابن خالويه** فـ" لا يكون في القرآن اِستفهام؛ لأنّ الاستفهام اِستعلامُ ما لا يُعْلَم والله تعالى يعلم الأشياء قبل كونها. فإذا ورد عليك لفظ من ذلك فلا يخلو مِنْ أَنْ يكون توبيخا أو تعجّبا أو تسويّة أو إيجابًا أو أمرًا"[38]. يعدّد في هذا الصّدد **ابن خالويه** الدّلالات الّتي يفيدها الِاستفهام داخل النصّ القرآنيّ، والّتي عرضنا الجزء اليسير منها فيما سبق. وفي الأخير نصل إلى القول بأنّ الأداء به تقوم الدّلالة، فهو ركيزتها وبه تتّضح دلالات الجمل.

الخاتمة:

لقد حاولنا في هذه الومضة السريعة والبسيطة استجلاء بعض الأغراض والمهام المتنوعة للأداء القرآني والتي تطرّق إليها العديد من العلماء عن طريق تحليل لغوي دقيق من شأنه توضيح الوظائف قصد بلوغ المقصد القرآني ودور الأداء في التعبير عن المعاني المقصودة، وكيفية إيضاحها إلى أن توصّلنا لمجموعة من النتائج أهمّها:

* الأداء ضرب من أساليب التعبير، تُعرف صيغه وهيئاته بالرّواية والمناقلة (المشافهة) عن الرّسول صلاة الله وسلامه عليه، وصحبه الكرام، وأئمّة وعلماء الأمّة الإسلامية.

*المقصد القرآني المنشود لا يتأتّى إلا وفق منظومة ثلاثية تتراوح بين المنقول(القرآن الكريم وقراءاته)، والناقل(الملقي أو المقرئ) وصولا إلى(المتلقّي أو المستمع).

*يتمّ الأداء عن طريق ضبط أصوات الحروف والألفاظ وهيئاتها اعتمادا على قدرة النّاقل وتمكّنه (المقرئ)، وهم أهل العلم والدراية والحفظ والنقل، فالأداء مرتبط بالبيئة، وبنوع الكلام المؤدّى.

*تواؤم ظواهر الأداء من وقف وتنغيم ووصل وفصل...هو المجسّد للصورة الدلالية الحقيقية عن طريق الأداء الصّحيح.

*العناية بتنوّع درجات الصوت من عال ومنخفض ومستوي عامل أساسي في تصوير المواقف القرآنية وإثارة الظواهر الانفعالية، ومنه تزيين القراءة فالإنصات وبذلك الوصول إلى قلب وعقل المستمع(المنقول إليه).

*الأداء الوسيلة المثلى عند قرّاء القرآن الكريم للتفريق بين مراتب التلاوة والتجويد من خبر واستفهام وتعجّب واثبات ونفي...ومن ذلك إيضاح المقصد وإظهار الإعجاز وإثارة المعنى وصولا إلى جماليات القرآن الكريم.

*الأداء لا تحدّد ملامحه الحقيقيّة إلّا أثناء السّماع أو القراءة ضمن مهام أساسيّة تعمل عملاً تعاونيّا حثيثًا داخل جسد النصّ القرآني ممثّلة في:(المهمة الانفعاليّة التّعبيرية، المهمة التّركيبيّة والمهمة الدّلالية).

الهوامش:

[1] جان كوهن ، بنية اللّغة الشعريّة ، تر:محمد الوالي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب،1986.م.، ص34.

[2] محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنّقد ، دط ، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر ، الفجالة ، القاهرة، دت، ص172.

[3] أبو حيان التّوحيدي ، المقابسات ، تحقيق : حسن السندوبي ، ط1، المطبعة الرّحمانية، مصر، 1929م، ص145.

[4] ممدوح عبد الرّحمن ، المؤثّرات الإيقاعيّة في لغة الشّعر، دط، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية ،1994م، ص32.

[5] رولان بارت ، مبادئ في علم الأدلّة، ترجمة: محمد البكري، دط، كليّة الآداب ، مراكش، الدّار البيضاء، فبراير1986م ص90.

[6] صابر عبد الدّايم ، موسيقى الشّعر العربي بين التطوّر و الثّبات ، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993م، ص26.

[7] ابن منظور محمد بن مكلرم، لسان العرب، مادّة أداء، دط، دار صادر ، بيروت، لبنان، مج5، دت، ص211.

[8] ابراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، ابراز المعاني بالأداء القرآني،ط1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2007م، ص23

[9] ابراهيم الجعبري، كنز المعاني في شرح حرز الأماني: مخطوط بالجامعة السعودية رقم2485، تح:أحمد اليزيدي،المغرب،وزارة الشؤون دينية، 1419 هـ، ص100.

[10] نفسه، ص153.

[11] ينظر: ابراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، ابراز المعاني بالأداء القرآني، ص23.

[12] نفسه، ص23

[13] ابراهيم الجعبري، كنز المعاني في شرح حرز الأماني، ص101

[14] محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دط، دار المعرفة بيروت، 1414ه،ج01، ص200.

[15] صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة العربية_دراسة لسانية ، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.م.، ص89 ،90.

[16] الحوارنة يوسف عبد الله ، التنغيم والدلالة في اللغة العربية ، مجلة الموقف الأدبي، ع 31/369، يناير 2002م، ص40 .

[17] عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج01،ص76

[18] ينظر: ابراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري، ابراز المعاني بالأداء القرآني، ص59،..72.

[19] المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تفسير المعاني النحويّة في سورة النّساء ، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة الجزائر،2011م، ص 69.

[20] مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب_إعجاز القرآن، ط 2 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1974م،ج 2، ص245.

[21] أحمد البايبي، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ط1، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن، 2012م، ج1، ص255.

[22] نفسه ، ج1، ص256.

[23] نفسه ،ج 1، ص255.

[24] الزّركشي بدر الدّين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن،تح: أحمد أبو الفضل، دط، دار المعرفة بيروت، 1972م ،ج1، ص532 ،533.

[25] الغزالي أبو حامد بن محمّد ، إحياء علوم الدّين ، ط 3 ، دار القلم، بيروت، لبنان ، دت ، ج1، ص254 ،255.

[26] أحمد البايبي، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة،ج1، ص261.

[27] نفسه ، ج 1 ، ص264.

[28] نفسه ، ج1 ، ص266.

[29] فخر الدّين الرّازي، تفسير الفخر الرّازي– المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، قدّم له: خليل محي الدّين الميس، دط، دار الفكر ، بيروت لبنان ،1995م ، ج21، ص79.

[30] أحمد البايبي، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة، ج1 ، ص266.

[31] نفسه ، ج1، ص267.

[32] الفيّومي أحمد عبد التوّاب ، أبحاث في علم أصوات اللّغة العربيّة ، ط1 ، مطبعة السّعادة ، 1991م ، ص191.

[33] الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد ، الحجّة في علل القراءات السبع ، تحقيق: علي النّجدي ناصف، عبد الحليم النجّار ، عبد الفتّاح شبلي ، ط2 ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1983م ، ج1، ص198 .

[34] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد النجولي ، ط1، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان ، 2001 م،ج5 ، ص384.

[35] العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، دط دار الفكر، بيروت، لبنان ،1986م،ج1، ص41 .

[36] نفسه ،ج1 ، ص242.

[37] اِبن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق، محمّد علي النجّار، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م،ج2 ، ص462 .

[38] ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد ، إعراب القراءات السّبع وعللها ، تحقيق: عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين ، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1992م، ج2، ص320.

قائمة المصادر والمراجع:

1. جان كوهن ، بنية اللّغة الشعريّة ، تر:محمد الوالي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب،1986.
2. محمد غنيمي هلال ، قضايا معاصرة في الأدب والنّقد ، دط ، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر ، الفجالة ، القاهرة، دت.
3. أبو حيان التّوحيدي ، المقابسات ، تحقيق : حسن السندوبي ، ط1 ، المطبعة الرّحمانية ، مصر، 1929م.
4. ممدوح عبد الرّحمن ، المؤثّرات الإيقاعيّة في لغة الشّعر، دط، دار المعرفة الجامعيّة ، الإسكندرية ،1994م.
5. رولان بارت ، مبادئ في علم الأدلّة، ترجمة: محمد البكري، دط، كليّة الآداب ، مراكش، الدّار البيضاء، فبراير1986م.
6. صابر عبد الدّايم ، موسيقى الشّعر العربي بين التطوّر و الثّبات ، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة،1993م.
7. بن سعيد بن حمد الدوسري، ابراز المعاني بالأداء القرآني،ط1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 2007م.
8. ابن منظور محمد بن مكلرم، لسان العرب، مادّة أداء، دط، دار صادر ، بيروت، لبنان، مج5، دت.
9. ابراهيم الجعبري، كنز المعاني في شرح حرز الأماني: مخطوط بالجامعة السعودية رقم2485،تح:أحمد اليزيدي،المغرب،وزارة الشؤون دينية،1419 هـ.
10. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، دط، دار المعرفة بيروت، 1414هـ.
11. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدّلالة العربية_دراسة لسانية ، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2004.م.
12. الحوارنة يوسف عبد الله ، التنغيم والدلالة في اللغة العربية ، مجلة الموقف الأدبي، ع 31/369، يناير 2002م.
13. عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين،تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
14. المبروك زيد الخير، ظاهرة الوقف القرآني وأثرها في تفسير المعاني النحويّة في سورة النّساء ، ط1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة الجزائر،2011م.
15. مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب_إعجاز القرآن، ط 2 ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، 1974م.
16. أحمد البايبي، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة، دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ط1، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن،
17. 2012م.
18. الزّركشي بدر الدّين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: أحمد أبو الفضل، دط، دار المعرفة بيروت، 1972م.
19. الغزالي أبو حامد بن محمّد ، إحياء علوم الدّين ، ط 3 ، دار القلم، بيروت، لبنان ، دت.

20. فخر الدّين الرّازي، تفسير الفخر الرّازي- المشتهر بالتّفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، قدّم له: خليل محي الدّين الميس، دط، دار الفكر، بيروت لبنان ،1995م.
21. الفيّومي أحمد عبد التوّاب ، أبحاث في علم أصوات اللّغة العربيّة ، ط1 ، مطبعة السّعادة ، 1991م.
22. الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد ، الحجّة في علل القراءات السبع ، تحقيق: علي النّجدي ناصف، عبد الحليم النجّار ، عبد الفتّاح شبلي ، ط2 ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1983م.
23. أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، أحمد النجولي، ط1، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلميّة، بيروت ، لبنان ، 2001.
24. العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين ، إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، دط دار الفكر، بيروت، لبنان ،1986م.
25. اِبن جنّي أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق، محمّد علي النجّار، ط3، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م،
26. ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السّبع وعللها، تحقيق: عبد الرّحمن بن سليمان العثيمين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر،1992م.